



قصيدة حديقة الغروب للقصيبي

مقاربة تداولية

إعداد

د. إبراهيم بن عبد الله بن غانم السماعيل

الأستاذ المشارك

في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ذو الحجة ١٤٣٩ هـ

أغسطس ٢٠١٨ م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد بن عبد الله النبي الأمي العربي الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد
فهذه مقاربة تداولية لمدونة أدبية، هي قصيدة (حديقة الغروب) للشاعر الدكتور غازي بن عبد الرحمن القصيبي رحمه الله تعالى.

آخذًا بالاعتبار أن التداولية درس "غزير، إلا أنه لا يملك حدودا واضحة" (١). والتداولية كما يقول د. خليفة: "تشغل اهتمام المناطق، والسيميائيين، والفلاسفة، والسوسولوجيين، والسيكولوجيين، والبلاغيين، وعلماء التواصل، واللسانيين... وبذلك فهي على مستوى من التحليل، لا يمكن أن نصنفها في أي من المستويات، ولا تدرس جانبا محددًا في اللغة، بل تستوعبها جميعا، وليس لها وحدات تحليل ولا أنماط تجريدية" (٢).

سأتناول هذا النصّ الشعريّ إن شاء الله تعالى من خلال الأبعاد التداولية للنص، مقسّمًا الحديث عن الجوانب الأربعة التالية:

- ١- الإشارات (Deixis).
- ٢- الافتراض السابق (Presupposition).
- ٣- الاستلزام الحوارية (Conversational implicature).
- ٤- الأفعال الكلامية (Speech acts).

(١) ينظر: بيلوجرافيا غازي القصيبي

(٢) في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: ٦٤، وينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠

مفرِّعًا عن كل جانب ما يتمحور حوله، ويتماس معه، من خلال المدونة موضوع
الدراسة في هذا البحث.

سائلًا الله تعالى التوفيق والإعانة، والرحمة والمغفرة لصاحب النص معالي الدكتور الراحل
غازي بن عبد الرحمن القصيبي ووالدينا والمسلمين.

وكتبه

د. إبراهيم بن عبد الله بن غانم السماعيل

الأستاذ المشارك

في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض العامرة

الأربعاء ٨ / ٢ / ١٤٤٠ هـ - ١٧ / ١٠ / ٢٠١٨ م

التمهيد

١ - نبذة موجزة عن التداولية:

التداولية لغة:

يرجع مصطلح التداولية إلى أصول لغوية، ومنها ما "يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان" (١).

التداولية اصطلاحاً:

يمكن القول من مجموع تعريفات للتداولية أن "التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات" (٢). وأنها "تهتم بمختلف الأسئلة الهامة، والإشكاليات الجوهرية في النص الأدبي المعاصر؛ لأنها تحاول الإحاطة بعدد من الأسئلة، من قبيل:

- من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟
- ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟
- ما هو مصدر التشويش والإيضاح؟
- كيف نتكلم بشيء، ونريد قول شيء آخر؟" (٣).

٢ - القصبي (٤):

(١) مقاييس اللغة ٢ / ٣١٤ (دَوَّل)

(٢) المقاربة التداولية: ١٢

(٣) المصدر السابق: ٥

(٤) ينظر: بيلوجرافيا غازي القصبي

نشأته ودراسته:

غازي بن عبد الرحمن القصيبي، ولد في اليوم الثاني من شهر مارس عام ١٩٤٠م في الأحساء في المملكة العربية السعودية، توفيت والدته بعد تسعة أشهر من ولادته، لتلحق بأبيها الذي توفي في أثناء حملها بغازي، نشأ غازي بين أب حازم غاية الحزم، وأم أم غاية في الحنان، درس في المنامة في البحرين مراحل تعليمه الأولى حتى الثانوية، ثم أكمل دراسته الجامعية في مصر ملتحقاً بكلية الحقوق في جامعة القاهرة، ثم حصل على درجة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة جنوب كاليفورنيا، ودرجة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة لندن.

أعماله الإدارية:

تولى القصيبي مناصب عدة، إذ عمل أستاذًا مساعدًا في كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود في الرياض ١٩٦٥ - ١٣٨٥هـ، ومستشارًا قانونيًا في مكاتب استشارية، وفي وزارة الدفاع والطيران، ووزارة المالية، ومعهد الإدارة العامة، وعميدًا لكلية التجارة بجامعة الملك سعود ١٩٧١ - ١٣٩١هـ، ثم مديرًا للمؤسسة العامة للسكك الحديدية ١٩٧٣ - ١٣٩٣هـ، ووزيرًا للصناعة والكهرباء ١٩٧٦ - ١٣٩٦هـ، ووزيرًا للصحة ١٩٨٢ - ١٤٠٢هـ، وسفيرًا للسعودية لدى البحرين ١٩٨٤ - ١٤٠٤هـ، وسفيرًا لسعودية لدى بريطانيا ١٩٩٢ - ١٤١٢هـ، ووزيرًا للمياه والكهرباء ٢٠٠٣ - ١٤٢٣هـ، ووزيرًا للعمل ٢٠٠٥ - ١٤٢٥هـ.

مؤلفاته:

وصل عدد مؤلفاته إلى أكثر من ستين مؤلفًا، منها:

في فن الرواية والقصة:

- شقة الحرية.
- حياة في الإدارة.

- دنسكو.
- أبو شلاخ البرمائي.
- العصفورية.
- سبعة.
- سعادة السفير.
- الجنية.
- العودة سائحا إلى كاليفورنيا.
- هما.
- حكاية حب.
- رجل جاء وذهب.
- أقصوصة ألزهايمر، نشرت بعد وفاته.

وفي التنمية والسياسة:

- التنمية، الأسئلة الكبرى.
- عن هذا وذاك.
- باي باي لندن ومقالات أخرى.
- الأسطورة ديانا.
- 100 من أقوالى غير المأثورة.
- ثورة في السنة النبوية.
- حتى لا تكون فتنة.

وفي الترجمة:

ترجم القصبي كتاب المؤمن الصادق للمؤلف ايريك هوفر.

وفي الشعر:

- أشعار من جزائر اللؤلؤ - مطبعة دار الكتب بيروت ١٩٦٠م - ١٣٨٠هـ

- قطرات من ظمأ - مطبعة دار الكتب بيروت ١٩٦٥م - ١٣٨٥هـ
- في ذكرى نبيل - مطبعة دار الكتب بيروت ١٩٦٩م - ١٣٨٩هـ
- معركة بلا راية - مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م - ١٣٩٠هـ
- أبيات غزل - دار العلوم ١٩٧٦م - ١٣٩٦هـ
- أنت الرياض - ط ١ المكتب المصري الحديث - ط ٢ دار العلوم ١٩٧٧م - ١٣٩٧هـ
- قصائد مختارة - دار الفيصل الثقافية ١٩٨٠م/١٤٠٠هـ
- الحمى - الكتاب العربي السعودي ١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ
- العودة إلى الأماكن القديمة - دار الصقر المنامة ١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ
- المجموعة الشعرية الكاملة - ط ١ دار المسيرة للطباعة والنشر، ط ٢ تهامة ١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ
- ورود على ضفائر سناء - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ
- مرثية فارس سابق - الكتاب العربي السعودي ١٩٩٠م - ١٤١١هـ
- عقد من الحجارة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩١م - ١٤١١هـ
- سحيم - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩٦م - ١٤١٦هـ
- قراءة في وجه لندن - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩٧م - ١٤١٧هـ
- واللون عن الأوراد - دار الساقى ٢٠٠٠م - ١٤٢٠هـ
- يا فدى ناظريك - العبيكان ٢٠٠١م - ١٤٢١هـ
- الأشج - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠١م - ١٤٢١هـ
- للشهداء - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ
- حديقة الغروب - العبيكان ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ
- البراعم - دار القمرين ٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ

وفاته:

توفي معالي الشاعر الدكتور غازي القصيبي في عمر السبعين يوم الأحد ٥ رمضان ١٤٣١ هـ الموافق ١٥ أغسطس ٢٠١٠م الساعة العاشرة صباحًا في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ووالدينا والمسلمين.

٣- نصُّ حديقة الغروب للشاعر الدكتور غازي بن عبد الرحمن القصيبي رحمه الله

المدونة محل الدراسة في هذا البحث هي قصيدة (حديقة الغروب) وهي من آخر ما أبدعه الشاعر الكبير الراحل غازي القصيبي رحمه الله، جاءت هذه القصيدة ضمن ديوان يحمل اسم القصيدة نفسه (حديقة الغروب)، يقع الديوان في ثمانٍ وسبعين صفحة من القطع الصغير، من إصدارات مكتبة العبيكان في الرياض(١).

جاءت قصائد الديوان والتي يحمل الديوان اسمها (حديقة الغروب)، ثم قصيدة (بدر الرياض). ثم قصيدة (دمع الخيل) وهي في رثاء أحمد بن سلمان بن عبدالعزيز، ثم قصيدة (محسون) وهي في وداع الدكتور محسون جلال، أما الخامسة فهي (حياة) في شقيقته حياة، والسادسة (لبنان)، والسابعة (عادل) في شقيقه عادل، أما الثامنة فهي بعنوان (شاعر البحرين) في تكريم الشاعر الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة، بعدها قصيدة (عن امرأة نارية). أما الأخيرة فهي (يا أعز الرجال) وهي في رثاء يوسف الشيراوي.

إذا فالديوان أشبه ما يكون بمرثية طويلة، وإن تعددت شخصيات من رُثي فيها!

النصُّ (٢):

(١) حديقة الغروب

(٢) حديقة الغروب: ١٣

خمسٌ وسُتُونَ في أجفانِ إعصارٍ
أما مللتَ من الأسفارِ ما هدأتَ
أما تَعَبْتَ من الأعداءِ ما بَرِحوا
والصحبُ؟ أين رفاقُ العمرِ؟ هل بَقِيَتْ
بلى! اكتفيَتْ وأضناني السُّرى! وشكا
أيا رفيقَةَ دربي! لو لديّ سوى
أحَبِّتيني وشبابي في فتوتِهِ
مَنَحْتيني من كنوزِ الحبِّ أنفَسها
ماذا أقولُ؟ وددتُ البحرَ قافيتي
إن ساءلوكِ فقولي: كانَ يَعشُقني
وكانَ يأوي إليّ قَلبي وَيَسْكُنُهُ
وإن مَضِيَتْ فقولي: لم يكنْ بَطْلاً
وأنتِ! يا بنتَ فَجْرٍ في تنفُّسِهِ
ماذا تريدِينَ مِنِّي؟! إنني شَبَحُ
هذي حديقَةُ عُمري في الغروبِ كما
الطيرُ هَاجَرَ والأغصانُ شاحِبَةٌ
لا تَسْتَبِعيني! دَعيني! وافترئي كُتبي
وإن مَضِيَتْ فقولِي: لم يكنْ بَطْلاً
ويا بلادًا تَذرْتُ العُمَرَ زَهْرته
تركْتُ بينَ رِمَالِ البِيدِ أَعْنيتي
إن ساءلوكِ فقولي: لِمَ أبغِ قَلمي
وإن مَضِيَتْ فقولي: لم يكنْ بَطْلاً
يا عالمَ الغيبِ! ذَنبي أنتَ تَعْرِفُهُ
وأنتَ أدري بِلِإيمانٍ مَنَنْتَ بِهِ
أحببتُ لقيامك حُسْنَ الظنِّ يشفعُ لي

أما سئمتَ ارتحالاً أيُّها الساري؟
إلا وألقتك في وعثاءِ أسفارٍ؟
يحاورونك بالكبريتِ والنَّارِ
سوى ثُمالةِ أيامٍ وتذكاري
قلبي العنناء! ولكنْ تلكَ أقداري
عمري لقلتُ: فدَى عينيكِ أعماري
وما تَغَيَّرتِ والأوجاعُ سُمَّاري
وكنتُ لولا ندادكِ الجائعِ العاري
والغيمِ محبرتي والأفقِ أشعاري
بكلِّ ما فيه من عُنفٍ وإصرارٍ
وكانَ يَحْمِلُ في أضلاعِهِ داري
لكنَّهُ لِمَ يُقْبَلُ جَبْهَةَ العارِ
ما في الأنوثةِ من سِحْرٍ وأسرارٍ
يُهيِّمُ ما بينَ أغلالٍ وأسوارٍ
رأيتَ مرعى حَرِيفٍ جائعٍ ضارٍ
والوردُ أطرقَ يَبكي عهدَ آذارٍ
فبينَ أوراقِها تَلقاكِ أَحْباري
وكانَ يَمزُجُ أطوارًا بأطوارٍ
لِعِزِّها! دُمتِ! إني حانٍ إجماري
وعندَ شاطئكِ المسحورِ أَسْماري
ولِمَ أدنِّسُ بِسُوقِ الرِّيفِ أفكارِي
وكانَ طِفلي ومحبوبي وقيثاري
وأنتَ تَعْلَمُ إعلائي وإسْراري
عليّ ما خَدَّشْتَهُ كلُّ أوزاري
أيرتُجى العَفْوُ إلا عندَ غَمَّارٍ؟

الفصل الأول

الإشارات Deixis

توطئة:

اللغة العربية وغيرها من اللغات تعتمد في خطابها على العديد من القواعد والمنظمات، والمعينات، ومنها الإشارات التي ترتبط من خلالها أجزاء الكلام، وهي إشارات متعددة؛ شخصية، ومكانية، وزمانية، وغيرها.

المبحث الأول: الإشارات الشخصية Personal Deixis

وهي ما يدل على الشخص، من نحو الإشارة إلى التكلم، أو الغيبة، أو الخطاب، مفردة كانت تلك الإشارة، أو مثناة، أو مجموعة، متضمنة هنا أسماء إشارة، والضمائر على ما هو عليه في كتب قواعد اللغة العربية (١).

وبما أن علم النص يرى أن مهمته " أن يصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي، وأشكال الاتصال، ويصححها، كما تحلل في العلوم المختلفة، في ترابطها الداخلي والخارجي" (٢)، هذه الإشارة الشخصية واضحة في النص؛ ذلك أنه نصٌ في أسسه نصٌ شخصي، فهو مفعم بالذاتية، وإن خرج عنها فقد عنها إليها عبر مخاطبة أقرب المخاطبين إليه؛ زوجته، ووطنه، ومن ثم الختام بمخاطبة من هو أقرب إليه من حبل الوريد ربه سبحانه وتعالى.

(١) ينظر - مثلا- اللمع في العربية ١٠٤، والمفصل في صنعة الإعراب ١٨٠، و الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ٢ / ٥٨٩

(٢) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ١١

يستهل الشاعر النصّ بالإشارة الخفيّة، مضمراً البطل، عادلاً به عن الإظهار، إلى الطيّ والإضمار؛ في إشارة إلى أن هذا البطل قد أضمرته "خمسة وستون" من السنين، ووارته "في أجفان إعصار"! حيث نلاحظ أن الشخص المحكي عنه قد جاء إضماراً: أنا في خمس وستين من الإعصار الذي واري بجفنه. لكنه لم يصرح بالـ(أنا)، لقوة الإعصار التي وارتها عن الذكر، وأخفتها عن الظهور!

لكن إشارة الشاعر استدركت هذا الإضمار فأبدت البطل وكأنه يخرج للوجود من "أجفان إعصار" هذه الحياة التي أعلنتها "خمسة وستون" سنة من العمر، يخرج الشاعر إلى الذكر نهاية هذا البيت على سنن (التجريد)؛ وكأنه أفاق إلى نفسه في نهاية البيت ليذكرها، كما أفاق إلى حياته بعد أعاصير العقود الستة من العمر! فيخاطب الشاعر الساري، والشاعر هو الساري، والساري هو الشاعر، وذلك باعتبار أن "هناك شيئاً منفصلاً عنه وممتازاً منه، وعلى هذا يخاطب الإنسان... نفسه، حتى كأنها تقابله أو تخاطبه" (١).

ومن ثمّ تأتي المتتاليات الإشارية الشخصية في هذا النص، حتى لا يكاد يخلو منها بيت، منوّعاً في ذلك بين أسماء الإشارة، أو الضمائر، سواء أكانت ضمائر خاصة به، أو بمن عايشهم طوال حياته، من أصدقاء أو أعداء! وهي تلك "الضمائر الواقعة للربط" (٢). المحكمة لنسيج العبارات، الموائمة للسياق.

إشارات شخصية تتعاضد مع التجريد المستهّل به النص: أما سئمت؟ أما مللت؟ ألقئتك، أما تعبت؟ يحاورونك، اكتفيت، وأضناني، قلبي، أقداري... في تصاعد لحضور (الأنا) تدرج حتى على مستوى الإشارة الشخصية؛ فالضمائر في مبتدأ النص توجّهت للمخاطب (أنت) عبر تاء الخطاب المفتوحة: أما سئمت؟ أما مللت؟ أما تعبت؟ وكاف

(١) الخصائص ٢ / ٤٧٦

(٢) أمالي ابن الحاجب ٢ / ٦٨٣

الخطاب المتصلة: ألقئتُك، يحاورونك، لتصعد النبرة تدريجياً التعبير بالمتكلم صراحة عبر منفذي تاء المتكلم المرفوعة، وياء المتكلم في إسناد ما قبلها إليها: اكتفيتُ، أضناني، قلبي، أقداري... حيث تبدو الياء هنا في صورة باهية دالة على مراد الشاعر من الحضور القوي في خطابه، تبدو الياء هنا بكل ما فيها من إشارات وخصائص في إسناد الاسم أو الفعل إليها(١).

المبحث الثاني: الإشارات الزمانية Temporal Deixis.

وهي تلك الكلمات الدالة على زمان محدد يمكن التوصل إليه بمعونة السياق؛ انطلاقاً من زمان منشئ النص، فهو المرتكز في ذلك؛ إذ يمكن حمل الإشارات الزمنية في نصه عليه، سواء منها ما أعاده إلى ما قبل إنشاء الخطاب، أم ما كان مزامناً له، أم ما جاء بعده.

مطلع النص، ومرتكزه، وانطلاقته الكبرى، وفكرته الأم التي بنى عليها أفكار النص الفرعية كانت إشارة زمنية، إشارة إلى ستة عقود ونصف العقد من الزمن الماضي، " خمسٌ وستونٌ " سنة، طواها من عمره، أو طواها عمره الماضي، مليئة بالأحداث الجسام، والتفاصيل الصغار، " خمسٌ وستونٌ "، بما فيها من أعداء وأصدقاء، " خمسٌ وستونٌ " بآلامها وآمالها، " خمسٌ وستونٌ " بالفرح والترح المصاحبين لها، إشارة زمنية مختزلة، أجاد القصبي وصفها باختصار حين جعلها في " أجفانٍ إعصارٍ "، إعصار بكل ما في الإعصار من سرعة، وبكل ما يحمله معه من مخاوف، إعصار لا يُعلم متى ينتهي، ولا إلى ماذا سيؤول، إعصار تمكن منه غاية التمكن؛ إذ لم يكن الشاعر في أطرافه، بل كان في أجفانه! ويا لها من أجفان! ويا له من إعصار.

وفي إشارة زمنية أخرى إلى متتابعات ماضية يتساءل الشاعر عن حزمة من الأسفار الضاربة في العقود السابقة، من سقر إلى آخر، فما أن يهدأ سفر تلو سفر إلا وتتلقفه أسفار

(١) نتائج الفكر في النحو ١٥٠

تلو أسفار، تتلقفه بوعثائها وعنائها، تتلقه بإبعاده عن أهله وموطنه، ولو كان إبعادًا نسبيًا، تتلقفه في قطعة من العذاب، وهل السفر مهما كان في وسائله العصرية المريحة، هل هو إلا قطعة من العذاب؟! عذاب حرمان المسافر ما اعتاد من مأكّل ومشرب واقتراب أهل، وكأن الشاعر يقاسي ما نصّ عليه الحديث الشريف الصحيح: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى حَمَمَتَهُ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ" (١). غير أن الشاعر يعاني في إشارته الزمنية هذه إلى أنه حتى وإن قضى نهمته وعجل الرجوع إلى أهله فإن الأسفار المتتابعة لا تمهله، بل تلقيه إلقاءً في خضمّها ووعثائها! ويا للأسفار في عنائها ووعثائها! وعتاء السفر، الدال على المشقة والشدة، وأصله من الوعث وهو أرض فيها رمل تسوخ فيها الأرجل (٢).

وفي تيمة السفر المبتوثة في النصّ يجلي القصبي ثنائيته بالسفر من خلال تكرار السفر لفظًا، أو معنى في النصّ أربع عشرة مرة، ما بين التصريح بلفظ الأسفار، والارتحال، إلى الإشارة الضمنية في ذكر البحر والأفق ورمال البید، ومثل نهي رفيقة دربه أن تتبعه، وتصوير الطيور المهاجرة، ومثل ذلك التعبير بالسفر إلى الدار الآخرة بحب لقاء الله تعالى، في دلالة بينة أن الشاعر ظلّ طوال عمره في سفر، لا يهدأ له سفر إلا لينتقل إلى وعتاء سفر آخر، حتى ختم قصيدته بذكر خاتمة الأسفار، من خلال ختام العمر بالسفر المحبوب، ولقيا المحبوب، في سفره إلى الله والدار الآخرة بقوله: "أحببتُ لقياك!"

وفي إشارة زمنية ممزوجة بالتذكر والحزن على انقضاء أوقات كانت هي العمر! هي العمر بأهلها، بأصحابها، برفاقها، بأحداثها، بعنفوانها، بمغامراتها، بحريتها، بمنافستها، بمرحها ولهوها، بفرحها وترحها، بجدها وهزلها، بدراستها وعملها، بسفرها وطمعها، بمناسباتها الاجتماعية،

(١) صحيح البخاري ٨ / ٣

(٢) معالم السنن ٢ / ٢٥٨

اختزل كل تلك المعاني في إشارة زمنية إلى ذهاب أغلب الأصحاب! وتصرمهم، ونقصان الأرض منهم، حتى لم يبق منهم "سوى ثُمالة أيامٍ وتذكاري"! ذهب الرفاق، وكاد أن ينتهي الطريق مع الرفيق، إذ لم يبق منهم سوى آثارهم، وفي اختيار القصبي للثمالة هنا دلالة على اصطفاء رفاقه، وأنهم بقايا لبن خالص سائغ، لكن الزم لم يبقهم، وسنة الله في أعمار الأمة قد طالتهم، فذهب الصفاء ولم يبق مشيرا إلى ذلك الصفاء مذكّرًا به إلا تلك الثمالة التي هي "رغوة اللبن إذا حُلب" (١). وهذا ما يتضح من ثنائية العلامة حسب سوسير القائمة بين الدال والمدلول، فمن دلالة الحثالة نتوصل إلى مدلول الاصطفاء والندرة المتمثلة في هؤلاء الأصحاب (٢).

وهكذا تتوالى الإشارات الزمنية في النصّ، من نحو قوله: "أَحْبَبْتِي وشبابي في فُتُوْتِهِ" في إشارة إلى الحبّ في مرحلة الشباب، حيث ثمة دافع للحب من الفتوة والنضارة، والسلامة من الأوجاع التي غدت في آخر العمر من السّمّار، لكنّ هذه الزوجة المحبّة وفيّة لم يتغير حبها بين حالي الفتوة ومسامرة الأوجاع! ويا لها من إشارتين زمانيتين تقابلتا فأظهرتا الحُسن وعمق الدلالة.

وفي إشارة زمنية لطيفة يترنم القصبي مدليا بما بذل من زهرة عمره، وأيام عطائه، وسنين قوته خدمة لبلاده: "ويا بلادًا تَدْرُثُ العُمَرَ زَهْرَتَهُ لعزّها"، فزهرة العمر قد انقضت لعز هذه البلاد، التي يسأل الله تعالى الدوام، الدوام للبلاد، وإن حان إبحار الباذل تلك الزهرة من عمره!

المبحث الثالث: الإشارات المكانية Spatial Deixis

كان تعلق القصبي رحمه الله بالمكان أمرا واضحا، ولذا تعددت الإشارات المكانية في النصّ، وتنوعت، ومن الجميل في تلك الإشارات ارتباطها بالموضوع الرئيس في النص، وهو

(١) لسان العرب ١١ / ٩٣

(٢) ينظر: السيميائيات أو نظرية العلامات: ٤٩

الحديث عن طول الأسفار، وتعددتها، وتتابعها، وشمولها الأماكن العديدة، فهو في مجموع أسفاره، وتكرارها قد رأى البحر، وطار فوق الغيم، وسار مع الأفق، ولذلك استحضرها مجتمعة، وأحسن توظيفها في أمنية مستحيلة، لكنه تمناها، "وددتُ البحرَ قافيتي، والغيمَ محبرتي والأفقَ أشعاري"، هذه الأماكن البحر والغيم والأفق، كان يرجو الشاعر لو كانت أدوات للتعبير عن مكنون نفسه، وخلجات فؤاده يرسلها لرفيقة دربه! أمنية مازجت المحال بالقرب المنال! وفي ذلك ما فيه من الإمتاع والمؤانسة على حد ما قال الجاحظ: "سئل ابن أبي بكرة: أي شيء أدوم إمتاعاً؟ قال: المنى" (١). وإنما لنعم المنى؛ لما اشتملت عليه من الإمتاع، والرغبة في توظيف هذه الأماكن البحر والغيم والأفق، في امتدادٍ طولي وعرضي شاملٍ ما نزل وما ارتفع من تلك الأماكن!

وفي تمازج بديع بين المعنى الأول الحقيقي والمعاني الثواني المجازية، تلك المعاني التي تلتبس في ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالاته في النفس، (٢) يربط القصبي بين سكناه قلب رقيقة دربه وإيوائه إليها في اصطفاء أخذ للفظي الإيواء والسكنى، وكان يأوي إلى قلبي وَيَسْكُنُهُ، متناصاً مع النص المقدس الكريم نص القرآن الكريم في وصف حال الزوجين في أبهى صورة، وأرقى أسلوب عندما بين كلا الزوجين سكن للآخر، قال تعالى في سورة الروم: {هَن لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} (٣) ورد أن معناه أنه: "لا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزَّوْجَيْنِ إِلَى الْآخَرِ" (٤)، وهذا السكن الزوجي قام بعد أن لم يكن ثمة علاقة قبله، كما قال

(١) الحيوان ٥ / ١٠٥

(٢) ينظر مثلاً المعاني الثواني: ٤

(٣) سورة الروم: ٢١

(٤) تفسير السمعاني ١ / ١٨٦

الزخشي: " وجعل بينكم التواد والتراحم بعصمة الزواج، بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة، ولا لقاء، ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم " (١).

ويستمر القصبي في إشاراتة المكانية المرتبطة أشد الارتباط برفيقة دربه في صورة تعبيرية بديعة، حيث ينتقل من معنى السكن إليها والإيواء إلى حيث هي، إلى معنى يقابله مقابلة خفية، إلى أن علاقته بزوجه لم تكن حال مجيئه إليها فقط، بل إنها تسكنه، وتتنقل معه حيثما ارتحل تنقلا محفوظا معني به غاية الاعتناء إذ إنه بين الأضلاع! " و كَانَ يَحْمِلُ فِي أَضْلَاعِهِ دَارِي "، يحمل الدار وساكنيها في أضلعه رغم كثرة تنقلاته، وهو يشير في تلك الإشارة إلى أنه مهما شطت به الدار، أو نأت به الأسفار، فإن داره معه في أضلعه، وهل الدار التي بين الأضلاع إلا إشارة لعامر الدار، وأسس الدار التي يأوي إليها ويسكن؟! وهذا تقابل خفي وارد في جميل الأساليب (٢). ويزداد حسن هذه الإشارة المكانية حسنا، بما يعلوها من الهيبة والبهاء في آنٍ واحد، إذ يسند الدار المشتركة بين الزوجين إلى الزوجة بإضافتها لها وتمليكها إياها بوساطة ياء المتكلم على لسانها "داري" فالدار دار رقيقة العمر، هي الأمرة فيها والناهية، وهي المالكة والملكة المتوجة، وهذا من الأدب الراقي في التعامل الزوجي الذي عاشه الشاعر واقعا، وترجم عنه شعرا، وهو أدب قرآني فريد في نسبة البيوت إلى الزوجات على حد قوله تعالى: { لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ } . فـ " الله تعالى أضاف البيوت إليهن وإن كان حقيقة الملك للأزواج فيها" (٣).

ومن بدائع إشارات القصبي المكانية في هذا النص ما جاء في وصف الحديقة! وأيّ حديقة؟! حديقة العمر، ذلك العمر المديد المزهر الأخضر النضر، المغدق المثمر، لكن هذا

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ٤٧٣ / ٣

(٢) ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة ١٦٤ / ١

(٣) تأويلات أهل السنة ١٠ / ٥٠

المكان قد حال إلى ما إليه آل! فحديقة عمره في الغروب، والطير مهاجرة، والأغصان شاحبة، والورد مطرقة باكية! يا لها من إشارة مكانية موجعة، إذ لم يكذب في الحديقة من معاني الحياة السابقة إلى اسم الحديقة! وهي ذاتها قد أحاط بها الغروب من كل جانب إحاطة الظرف بالمظروف، وهو المعنى الذي أوصله إلينا الشاعر باستخدامه (في) الظرفية (١)، وكأن الغروب ظروف محيط بتلك الحديقة من جوانبها! وقد أحسن القصبي في إشارته هذه الواضحة البيئة؛ ذلك أن "أهم ما يميز الإشارة هو كونها مدركة ظاهرة، وهي رهن إشارة الإنسان الذي يملك حق تعريفها وشرحها كم يريد" (٢).

وهذا ما حدا بالقصبي إلى أن يجعل عتبة عنوان القصيدة والديوان هو هذا اللفظ الدال على مدلولات وإيحاءات عبر عنها الشاعر بلفظين اثنين: حديقة الغروب، إيماناً منه بأهمية عتبة العنوان تلك من حيث إنها: "مقطع صوتي وعتبة من بين العتبات التي تعرض العمل الأدبي على القارئ" (٣). وغير خاف ما وُفق إليه القصبي من إغراء المتلقين عبر هذا العنوان؛ منطقاً من كون العنوان: "مجموعة من العلامات اللسانية التي يمكن أن تُدرج على رأس نص لتحده، وتدل على محتواه وتغري الجمهور المقصود بالقراءة" (٤).

ويشير القصبي إشارة مكانية كبرى، بحجم ولائه لبلاده، يشير منادياً بلاده "يا بلاداً"، بمعونة أداة النداء الياء الدالة على نداء البعيد مع قرب البلاد من قلب الشاعر بدليل بذله زهرة عمره لعز تلك البلاد، لكنها يناديها مناداة البعيد إعلاء لشأنها، وبياناً لرفعة منزلتها، وتوكيداً

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب ٢٢٣

(٢) معجم السيميائيات : ٨٩

(٣) سيميائية الخطاب الشعري: ٢٨

(٤) شعرية عنوان الساق على الساق فيما هو الفاريق: ٤٥٦

لأهميتها (١) ، "يا بلادًا" هكذا في أسلوب النكرة المقصودة تنكير التعظيم والتبجيل كما هو معلوم مرقوم لدى أرباب المعاني(٢).

ثم يتبع القصبي الإشارة المكانية إلى البلاد العزيزة على نفسه في إشارتين محيطتين بتلك البلاد، إشارتين بينهما المقابلة الظاهرة، مقابلة الماء باليابسة، مقابلة البيد بالشواطئ، مقابلة الأغنيات في ليالي نجد الساحرة، والسمر الساهر في الشواطئ الساحرة! "تركْتُ بينَ رِمَالِ البِيدِ أَعْنِي، وعندَ شاطئكَ المسحورِ أسْماري!"

وفي ظل هذا الحضور اللافت للمكان في النص، أتساءل: هل كان القصبي يستشعر تلك البيد التي كان يقطعها في متابعته تفاصيل عمله البري في الصحاري الممتدة بين وسط بلاده وشرقها حين كان مديرًا للمؤسسة العامة للسكك الحديدية في زهرة شبابه عام ١٩٧٣م؟! وهل كانت أسماره على شواطئ حدود بلاده الشرقية والغربية حيث الخليج العربي والبحر الأحمر تعود به في شريط ذكرياتها مجسدة جلسات السمر مع الرفاق في سن الشباب على الشاطئ الشرقي، ومع الحكومة ووزرائها وهو الوزير العمر المديد، حيث الإقامة السنوية المعتادة في عروس البحر الأحمر مدينة جدة؟! وإلى مجالسة الشعراء والأدباء جلسات السمر في شواطئ جازان الساحرة، الساحرة بجمال شواطئها، وبيان أدبائها ومسامراتهم!

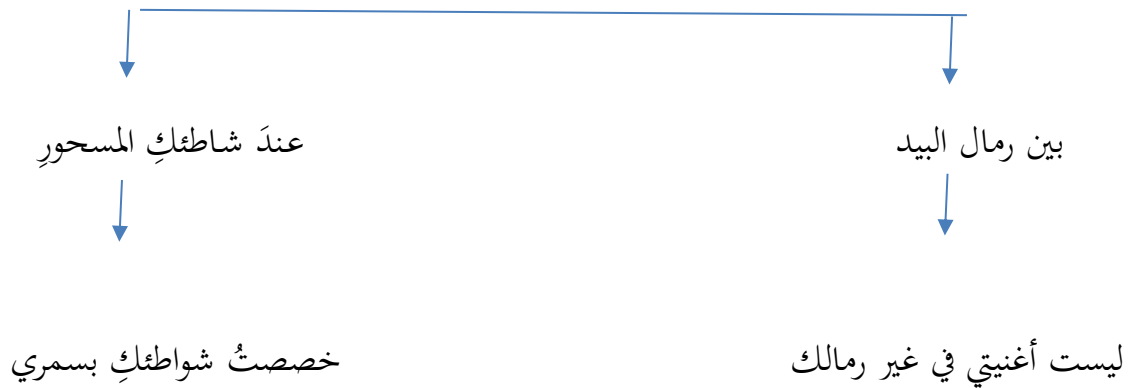
شملت هاتان الإشارتان المكانيتان الموجزتان آلاف الأميال في بلاد الشاعر المترامية الأطراف، من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب محتوية في ذلك واسطة عقدها المنطقة الوسطى.

(١) ينظر: الأصول في النحو ١ / ٣٢٩

(٢) ينظر مثلا: المنهاج الواضح للبلاغة ٢ / ٤١

وهذه المنطلقات للقصيبي في إشارته إلى بلاده يمكن إجراء النظرة التداولية لوظائف اللغة عليها؛ ذلك " أن وظيفة اللغة الأساس في نظر الاتجاه التداولي داخل المجتمع تكمن في كونها تتيح التواصل بين الأفراد، وعندما نتحدث عن مجتمع فإننا نتحدث بالضرورة عن قوانين وأنظمة تحكم علاقات أفرادها فيما بينهم" (١).

ويمكن النمذجة على ما سبق بتفصيل دلالة العنصر الإشاري المكاني في قوله: "تركْتُ بينَ رمالِ البِيدِ أَعْنَيْتِي"، وقوله: "وعندَ شاطئِكِ المسحورِ أَسْمَارِي" كالآتي:



المبحث الرابع: الإشارات الاجتماعية Social Deixis

جاءت في النص العديد من الإشارات الاجتماعية المتنوعة فيما بين المبدع القصصي وبين من وردت إليهم تلك الإشارات، واردة ما بين ألفاظ تشير إلى علاقة اجتماعية رسمية [formal]، وهي علاقة مع رسميتها إلا أنها مؤذية مقلقة، منغصة حتى في تذكرها! تلك العلاقة مع الأعداء، أعداء الشاعر الذين أتعبوه و ما برحوا، يحاورونه بالكبريت والنار، والشاعر ينصُّ في إشارته هذه إلى تكالب أعدائه عليه، وإلى عدم مللهم من المحاربة المكسوة بالمحاوره، وكم دارت بينه وبين خصموه من محاورات مسموعة، ومرئية ومكتوبة طوال عمره!

(١) التداولية ظلال المفهوم وآفاقه، ٥

وفي إشارة غير رسمية [informal] يناجي القصصي نفسه في (منلوج داخلي) يسعى من خلاله الشاعر إلى التعبير عن هويته الذهنية والإفصاح عن مكنون النفس التي تضر من المخبوء الشيء الكثير، في أسلوب يساعد المتلقي على الانتقال مباشرة إلى الحياة الداخلية للشخصية المتحدثة (١) في (منلوج) يقطر ألماً وحيناً إلى من أمضوا معه العمر، وصحبوه في الشدة والرخاء، إلى صحبه ورفاق عمره، يناديهم مناجيا مستفهماً، في استفهام قائم على التحسّر (٢)، "والصحبُ؟ أين رفاقُ العمرِ؟ هل بقيتْ، سوى ثُمالةِ أيامٍ وتذكاري؟! هذا الحوار القائم بين شخصية القصصي وذاتها يناجي فيه نفسه، ويتساءل عن أصحابه، أين تلك السني التي طووها معاً؟ وعاشوها في الحل والترحال، والظعن والإقامة؟ أين هم؟ أيعقل ألا يبقى منهم " سوى ثُمالةِ أيامٍ وتذكاري!؟"

ومما أشار إليه القصصي في النصّ إشارة اجتماعية، تلك الإشارة ذات الأهمية القصوى في علاقات القصصي بالآخرين، تلك الإشارة المبنية على العلاقة الحميمة علاقة الألفة والمودة [intimacy] العلاقة الزوجية المثالية، علاقة الزوج الساكن قلب زوجته، الحامل مودتها في أضلاعه، وهي زوجة تستحق تلك المودة، وذلك الحب والتقدير، فهي التي أحبت زوجها منذ فتوته وعنفوانه حيث دواعي الحب تناديها، واستمرت في حبه المخلص ذلك مع تكالب الأمراض، وتداعي أسباب العلل على جسد أحالته الأوصاب إلى شبح لا يكاد يقوى على أي حراك! ومع ذلك فهي الزوجة المانحة من الكنوز أسماها؛ كنز الحب، ومن مستويات ذلك المنح أنفسها، هكذا يختزل القصصي تلك المعاني في إشارة اجتماعية يقول فيها:

(١) ينظر: النقد الأدبي الحديث قضايا واتجاهات: ٩٢

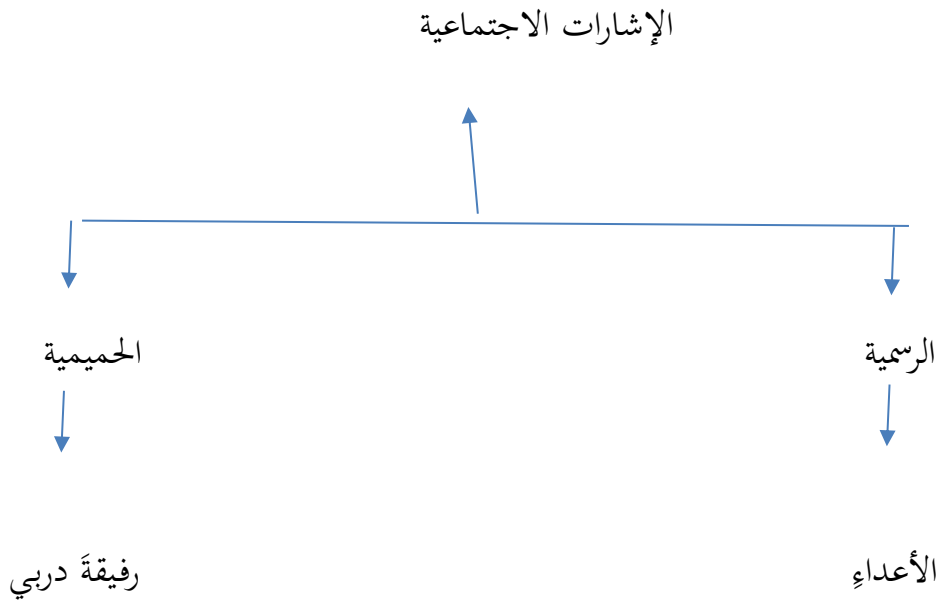
(٢) ينظر: عقود الجمال في علم المعاني والبيان ٦٠

عمري لقلتُ: فدَى عينيكِ أعماري
وما تغيّرتِ والأوجاعُ سُمّاري
وكنتُ لولا نذاكِ الجائعِ العاري

أيا رفيقَةَ دربي! لو لديّ سوى
أحبّبتني وشبابي في فتوته
منحتني من كنوزِ الحبِّ أنفُسها

وبإمكاننا من خلال هذه الخطاطة أن نشير إلى علاقات القصبي الواردة في النص،

سواء منها ما جاء في الصورة الرسمية، أو الحميمية:



الفصل الثاني

الافتراض السابق

Presupposition

ينضح هذا النصّ الشعري الذي بين أيدينا بالعديد من الافتراضات السابقة، لما بين الشاعر وبين الشخصيات الواردة في النص من علاقات وأواصر، قرّبت أم بعدت، صغرت أم كبرت، لطفت أم ساءت.

فالقصبي رحمه الله عندما يتساءل عن الصحب ورفاق العمر؟ فإنه يفترض في المتلقي أنه يعلم أن العديد من الأصحاب قد رافقوا الشاعر في دربه، وتقلبوا معه في حياته، بين رؤساء ومرؤوسين، وأصحاب عمل، وأصحاب أنس، وجيران منزل وسكان حيّ، وأصحاب طفولة، وزملاء دراسة، ومرافقي سفر، وشركاء عمل، ومجاورين في مقاعد الدراسة.

ففي الملفوظ: " والصحب؟ أين رفاق العمر؟ " خلفية افتراض مسبق؛ مضمونها أن هناك صحباً، وأن ثمة رفاق عمر.

كل أولئك المعهودين لدى المخاطب في الافتراض السابق يتساءل عنهم الشاعر بلوعةٍ وأسى وتحسّر: أين هم؟ وهل يُعقل أنهم وهم من هم لم يبقى منهم " سوى ثمالة أيامٍ وتذكّارٍ!" وفي افتراض سابق آخر يشير الشاعر إلى أنه يفترض في رفيقة دربه أنها تعلم أن زوجها ورفيق دربه قد فداها بأغلى ما لديه، بعمره كله، ولذلك خاطبها بالود والرحمة والتفاني والإخلاص مبينا أنه لو كان يملك أعماراً أخرى إلى عمره لجاد بها فدى عينيّ حبيبته زوجته رفيقة دربه، وليس ذلك عليها بكثير! ما أجمل هذا الافتراض!

أيها رفيقة دربي! لو لديّ سوى عمري لقلت: فدى عينيك أعماري

فالمفوظ: " لو لديّ سوى عمري " الذي تضمن المفهوم المسبق من خلال أن العمر الذي أملكه قد فديتك إياه.

ونسير مع الشاعر في افتراضاته السابقة لنقف على ما افترضه في المتلقي من أنه يعلم مسبقاً أنّ رفيقة دربه تعلم علمًا مسبقًا أنه رجل امتلاً عنفًا وإصرارًا، حتى سحر هذا العنف، وذلك الإصرار في عشقها، وهو الذي طلب الشاعر من رفيقة دربه أن تخبر من يسأل عنه وعنهما بعد رحيله، وتفرقهما!

إن ساءلوك فقولي: كانَ يَعشُّني بكلِّ ما فيه من عنفٍ وإصرار

أخبريهم عن العشق، وضمي إليه عنفي وإصراري المعروفين مسبقا فيما تعلمينه عني يا رفيقة دربي! فالمفوظ: " بكلِّ ما فيه من عنفٍ وإصرار "، وهو مبني على مضمون سابق مضمونه ما يملكه الشاعر العاشق من عنف وإصرار.

وهكذا تسير باقي الافتراضات في النص على افتراض ومضمون لذلك الافتراض؛ ومن الافتراضات الأخاذة في هذا النصّ ما افترضه الشاعر سلفًا من وجود ضعاف النفوس، الفارغين من الداخل، عديمي الإحساس، مسلوبي الضمير، أولئك الأشخاص الذين لا يقيمون للمبادئ وزنًا، ولا للقيم أهمية، أولئك القوم الذين لا يكتفون بالرضا بالعار؛ بل يقبلون جبهته رضا وخنوعًا، هؤلاء الأقرام المعروفين مسبقا أخبري عني يا رفيقة دربي كل من يسألك أنني لم أكن منهم وإن لم أكن بطلا! فحسبي من البطولة أنني لم أقبل جبهة العار!

وإن مضيئُ فقولي: لم يكنْ بطلاً لكنَّهُ لم يُقبَلْ جبهة العارِ

وفي هذا السياق يأتي القصيبي بصيغة التقبيل في الحرف المشدّد الدال على مزيد من البناء ليفضي إلى زيادة في الدلالة؛ على حدّ قول فان دايك: " وكان ينبغي أن نخصّص أيضا كيف أن التراكيب الشكلية الصرفية ترتبط بالبنيات الدلالية السيمانطيقية" (١).

ومما افترضه الشاعر في افتراضاته السابقة أن المتلقي يعلم بالضرورة أن من لوازم الأنتى الجاذبية والسحر والفتنة، والافتتان، تلك هي الافتراضات التي نراها في قول القصيبي: " ما في الأنوثة من سحرٍ وأسرارٍ"، فالجميع مسلّم أنّ في الأنتى سحرا وأسرارا! لكنّ الأمر كلّ الأمر هو الربط في أنّ هذه البنت المخاطبة بنت الفجر في تنفّسه هي التي امتلأت سحرا وأسرارا، ذلك السحر والأسرار المفترض مسبقًا أنها معلومة لدى كلّ متلقٍ.

ويفترض الشاعر الزوج أن رفيقة دربه، وشريكة حياته لن تطيق العيش بعده، حتى إنّها ستتبع زوجها المحب العاشق بالعنف والإصرار، ستتبعه عندما يغادر هذه الحياة، ويفضّ مكرها تلك الشراكة التي كان مقرها القلب ومسكنها الأضلاع! ستتبعه وتختار الموت معه! لكن الزوج المحب أراد لمحبوته البقاء وخاطبها بقوله "لا تتبّعيني! دعيني! واقْرئي كُتبي" ففي كُتبي حكاياتي، وأخباري، وحياتي في الإدارة، وغيرها من مواقف في شقتي وقصري، وبيتي ووزارتي، وأصدقائي وأعدائي، وسفري وإقامتي، وفتوتي وأوجاعي، كل ذلك سترينه في ورقات كُتبي، ولذلك يا حبيبتى: "لا تتبّعيني! دعيني! واقْرئي كُتبي!"

وافترض الشاعر في رفيقة دربه أنّها مثله تعلم أن في هذه الدنيا من لا يراعي للكلمة مسؤولية، ولا يقيم للأمانة وزنا، ولا يأبه بعظم ما أنيط به من مهام، وما يُطلب منه أعباء، لذلك فأقلامهم معروضة للبيع في سوق الجشع والطمع، ومحلات التهافت خلف التفاهات، والركض خلف الملذات الحاضرة، و الزائف من الأفكار الواهية، يفترض الشاعر في زوجته أنّها

(١) النص والسياق: ١٨

تعرف ذلك مسبقا ويلقنها جواب سؤال السائلين بأن محبوبك وقيثارك ورفيق دربك لم يكن بطلا أسطوريا، لكنه سلم من الدنس أن لم يكن من رواد سوق الزيف هذه!

إن ساءلوك فقولني: لم أبغ قلمي ولم أدنس بسوق الزيف أفكاري

ومن الافتراضات المسبقة ما تكرر في المدونة الشعرية ثلاث مرات من الوصف المسبق الافتراض بكلمة (بطل)، حين نفى الشاعر أن يكون "بطلا" بكل ما يحمله هذا الوصف من معانٍ، فالبطل في الافتراض السابق لدى المتلقي هو من يحمل صات التضحية، والفداء، والبذل، والكفاح، وغيرها من العديد من الصفات التي أغنى عن تعدادها مجتمعة كلمة واحدة مسبقة الافتراض بما تحويه، وهي كلمة (بطل)، وهذا ما أشار إليه من قبل ابن جني عندما أبان بجلاء ذلك بقوله: "إن وصف العلم جارٍ مجرى نقض الغرض. وذلك أن العلم إنما وضع ليغنى عن الأوصاف الكثيرة؛ ألا ترى أنك إذا قلت: قال الحسنُ في هذه المسألة كذا فقد استغنيت بقولك: الحسن عن قولك: الرجل الفقيه القاضي العالم الزاهد البصري الذي كان من حاله كذا، ومن أمره كذا، فلما قلت: الحسن أغناك عن جميع ذلك" (١).

(١) الخصائص ٣ / ٢٤١

الفصل الثالث

الاستلزام الحواري

Conversational implicature

اشتمل نصُّ القصيبي على العديد من العلامات اللفظية المنادية بالتأويلات بمعونة السِّياق، سواء أكان السياق لغويًا أم سياقًا ثقافيًا، من خلال فكِّ المتلقي شفرة الرسالة التي أرسلها له الشاعر.

وهذا ما يستدعي استلزامًا حواريًا قائمًا بين المرسل / الشاعر وبين المتلقي، سواء أكان المتلقي المراد ابتداءً؛ وهو رفيقة العمر، أم المتلقي للنصِّ عامة من القراء في مختلف الأزمنة والأمكنة!

وانطلاقًا من (الاستلزام الحواري) فإنَّ مبدأ (التعاون)، الذي هو (حُبُّ الذات)، يحضر بقوة فيما يتقاسمه المرسل والمتلقي، عن طريق إرسال الرسالة من المبدع، وتلقيها من قبل المتلقي بمعرفة ألفاظها، والذهاب إلى سبر غور مقاصد مرسلها.

وعندما يترنم الشاعر بهذه البيت الخاص جدًا المرسل في علامته اللغوية إلى رفيقة دربه، فإنها هي الوحيدة القادرة على فكِّ شفرة هذه الرسالة، دون غيرها من المتلقين! فالزوجة عامة هي المتلقي الوحيد - أو هكذا نفترض - التي تعرف مدى عنف زوجها العاشق وإصراره في ذلك العشق المكسو بكل عنفٍ لذيذٍ محبَّب! وذلك من خلال وجود التأثير والتأثير الذي يصاحبه ما يصاحبه بين الباث والمستقبل على محتوى الرسالة التي أريد بها حصول الأثر (١).

إِنْ سَاءَ لَوْكَ فَقُولِي: كَانَ يَعْشُقُنِي بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ عُنْفٍ وَإِصْرَارٍ

(١) الحوار في شعر محمد حسن فقي دراسة تداولية: ٤

وقيام المرسل والمتلقي بـ(مبدأ التعاون) خير قيام هو الذي أدى إلى ظهور الاستلزام الحواري دوغما شوائب، أو انقطاع لعملية التواصل المستهدفة من خلال تلك الرسالة اللفظية في علامتها اللغوية، وما ندرج تحتها من مقاصد المرسل التي تلقتها الزوجة بفضل ما بينهما من جسور السياق التواصلية الممتد عقودا من العمر!

وفي تواصل لغويّ محدد يرسل الشاعر رسالة تشير إلى ما عليه إدراك المرسل لواقعةٍ معيّنة، هي واقعة الأعداء المحاورين للشاعر بالكبريت والنّار! حيث تضمنت تلك الحادثة قيمة حقبة زمنية لموضوع العداوات التي شُنّت على الشاعر، والحروب الفكرية، والمراشقات اللفظية التي دخلها مختارًا أو مكرهًا، حاول الشاعر من خلال تلك الرسالة المعبر عنه بالتواصل اللغوي تحقيق اتصال مباشر بين ما يرسله وما يتلقاه عنه المتلقون!

وكانه يعيد للأذهان حواراته النارية بينه وبين مخالفيه في الرأي، تلك الحوارات مضى عليه ما يقارب ربع قرن من عمره، سنين طويلة كانت كفيّلة أن يملّ من مجرد ذكرها، وأن يرتاح بعدما أضناه التعب، وأعياه السرى!

وفي محاولة للشاعر إقامته معبرًا بين المعنى الصريح [explicit meaning] والمعنى المتضمن [implicit meaning]، حيث هي فكرة الاستلزام [implicature]، يرسل رسالة مؤثرة مؤلمة في مقصدها؛ مفادها قرب رحيله عن الدنيا، رحيله عن الأسفار، والترحال، والمناصب، والكراسي، والرفاق، والأصدقاء، والأعداء، والكبريت والنار، والعشق، والعنف، والإصرار، رحيله عن البلاد التي سكنها وسكنته بفيافيها، وبيدها، وبجارها، وشواطئها، رحيله عن شريكة عمره، ورفيقة دربه، تلك الرسالة المفاد مقصدها من السياق الثقافي واللغوي القائم بين المرسل والمتلقي، أجاد الشاعر في إرساله عبر الرسالة اللغوية القائمة على المعاني الثواني في استعارته الحديقة لعمره النضر المثمر المعطاء، لكن قدر تلك الحديقة أنها الآن في لحظاتها الأخيرة فهي على وشك الأفول، وفي لحظات الغروب! ليس فيها الخريف الجائع!

هذي حديقةٌ عُمرِي في الغروبِ كما رأيتِ مرعى حَريفٍ جائعٍ ضارٍ

ومن تناول هذا النصّ من (مبدأ التعاون) في أحد مبادئ فروع الأربعة الذي هو مبدأ المناسبة/ العلاقة [Principle of relevance/ relation] بأن يكون لكلام المرسل علاقةً مناسبةً بموضوع حديثه، فإننا نرى تلك المناسبة واضحة جليّة في رسائل القصبي التي بثّها في مدونته الشعرية هذه، من خلال ما أجاد من إسهامه بربط رسائله بمحور قرب رحيله، وهذا هو الهدف المراد الوصول إليه.

فسأمه و ملله واكتفاؤه وما قاساه وأضناه، وأعياه، وخمس وستون قد طواها من عمره متنقلا ممزجا أطوار بأطوار، كل ذلك كان إرهاصات لأقداره التي آذنت بالغروب، وشارفت الرحيل، حتى سيكون مسؤولا عنه، خيرا من الأخبار! ستخبر عنه إحدى وسيلتين: زوجته رفيقة دربه، وكتبه خلاصات حياته!

إن مبدأ المناسبة هذا بين الرسائل وفك شفراتها أمر يسير لما قام به المبدع من مبدأ التعاون المشترك بينه وبين من أرسل إليه رسائله.

والقصبي في نصّه هذا التزم مبدأ فرعيا من فروع مبادئ التعاون، وهو مبدأ الطريقة [Principle of manner]، حيث ظهر القصبي من خلال علاماته اللغوية المبتوثة في نصّه واضحا ومحددا؛ فقد تجنب الغموض واللبس، وأوجز، ورتب كلامه، وتسلسل في عرض أفكاره.

فمنذ أن يستهل الحديث عن السنين الخمس والستين التي عاشها وكابد إعصارها في حل وترحال، وتتابع رحلات وأسفار.

يتحول من خلالها إلى من خالطهم وخالطوه وإن تباينوا صفة وقدرًا، فهم إما أعداء حاربوه في حوارات، وحاوروه في حروب ومطاحنات، وإما رفاق عُمر وأصحاب لهم خالص الذكريات.

ليتحول إلى أنه ملّ ذلك كله، ولازمه السأم، وصاحبه الضجر، ليتحول في رسائله المباشرة إلى رقيقة دربه مستحضرا معها منزلتها لديه، ومكانته عندها، غير مخفٍ ما بينهما من عشق، وليس أيّ عشق! إنه عشق العنف والإصرار.

ليشير إلى قرب رحيله، ودنوّ أجله، وأنه سيرحل ويترك آثاره تتحدث عنه، فمن أراد القصبي فهو حيّ في أوراقه الناطقة!

ليعرّج على الجغرافيا والتاريخ معًا، حيث يربط حبه بلاده بتاريخ عمره وزهرة شبابه إلى كبر سنه، وأن هذا التاريخ المديد قد امتدّ جغرافيا ليشمل شمال هذه البلاد وجنوبها، شرقها وغربها، بيدها وبحرها، داعيا لهذه البلاد العزيزة على نفسه بالدوام، وإن ارتحل خادمها ومن نذر عمرها لعزها، فإن حان إبحاره عنها فبلاده باقية، وهو داعٍ لها دعوة مودّع! دعوة محبوبها، طفلها، شاعرها الذي يتغنى بها ولها بقيثارته.

ليصل به التسلسل السلس، والانتقال المنطقي من معنى إلى آخر، وحسن التخلص الذي أجاده، يصل بالشاعر إلى حسن الختام في مناجاة راقية مؤمنة، مناجاة دافئة، مفعمة بكل معاني العبودية الحقة، مناجاة مع عالم الغيب الذي منّ بإيمان عظيم على الشاعر، إيمان لم تصل لخدشه كل الأوزار والذنوب التي اقترفها الشاعر بحكم بشريته التي تخطئ وتصيب، جاء القصبي هنا مذنبًا مستغفرًا عملاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذُنِبُوا لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذُنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ" (١)، تسلسل جعل

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢١٠٦

القصبي يتجلى في التوفيق لتغليب جانب حسن الظنّ خاصة عند قرب لقاء الله الذي أحب الشاعر فيه لقاء الله تعالى، وهنئنا له هذا التناصّ الجميل البديع في توظيفه، تناصّ مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ" قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: "لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ" (١). في دلالة على محصول القصبي الثقافي، وإرثه الديني، واطلاعه على السنة النبوية المتمثلة فيما جاء من توجيه نبي كريم حول إحسان الظن الذي توسل به الشاعر في ختام نصه الراقي، حيث تشفع بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم كل من كان في مثل حال الشاعر، حال دنو الأجل، وقرب الرحيل، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: "لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ" (٢).

بهذا التسلسل والوضوح، والمنطقية في السرد الشعري بدا فيه مبدأ الطريقة [Principle of manner] في صور بديعة.

ومن الاستلزام الحوارى ما يُرف بـ (مبدأ التأدب في الكلام) هذا المبدأ الذي يفرض على المتحدثين أن يحترم بعضهم بعضاً في الكلام، ومن ذلك الاحترام ما يظهر من أوجه الاعتذار، أو التلطّف في الخطاب، خاصة في حال تبليغ خبر مؤلم أو مزعج، وتكوين ذلك الخبر.

ومن هذا التأدب ما نضح به إناء القصبي الشعري في هذا النصّ، فمع أن النص نص غروب ورحيل، إلا أن الشاعر لم يفجع أحبابه -رفيقة دربه وغيرها- بالتصريح بموته، أو مغادرته

(١) صحيح البخاري ٨ / ١٠٦

(٢) صحيح مسلم ٤ / ٢٢٠٥

هذه الحياة، إنما الأمر إلماحات، وإشارات، وتعريض، وتناص مع نصوص الرحيل، وتوطئة نفسية للغروب، وتهيئة للرحيل.

بل إن الشاعر أجاد في توظيف أداة الشرط (إن) في وقوع رحيله، عوضاً عن (إذا)، نظراً لما بين الأداتين من بون في تحقق الوقوع في أو احتمال، وفي قُربه أو بُعده، على ما بين ذلك أرباب البيان، والشاعر أحد أهل ذلك البيان، وكأني بالقصبي أراد باستعمال (إن) الشرطية في قوله مكرراً إياها خمس مرات، ثلاثاً منها مع الفعل مضيت "إنّ مضيت"، ومرتين مع السؤال "إن ساءلوك" تسلية للمتلقي بأن مضيت الشاعر ورحيله، وما يتبع ذلك من تساؤل الناس عنه، أن ذلك غير مجزوم به الآن، وأن فيه ما فيه من المغالطة مع النفس في التشكيك فيما هو متحقق الوقوع، المبنية على (مبدأ التأدب في الكلام)، وهو أمر غير مستغرب على شاعر أديب ذي ذوق رفيع في مخاطبة الآخرين، وهو في الوقت نفسه قد تسنّم هرم وزارة الصحة التي من أساستها التلطف مع المريض وذويه حال الإخبار بنتائج فحوصات، أو احتمال مرض خطير، أو وجود حالات على وشك الوفاة! ذلك الوزير الذي عمّد في قراراته إبان وزارته وزارة الصحة إعلاء لافته في غرف المرضى ومدخل المستشفيات تحمل الآية الكريمة المتفائلة {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} (١)، لأجل ذلك أثر الشاعر التعبير بأداة الشرط (إن) لا (إذا).

(١) سورة الشعراء: ٨٠،

وينظر حول توجيه الوزير القصبي:

https://twitter.com/AlgoSaibi_Ghazi/status/795744640188215296

بِكَلِّ مَا فِيهِ مِنْ عُنْفٍ وَإِصْرَارٍ	إِنْ سَاءَ لَوْكَ فَقَوْلِي: كَانَ يَعْشُقُنِي
...	...
لَكِنَّهُ لَمْ يُقْبَلْ جِبْهَةً الْعَارِ	وَإِنْ مَضَيْتُ فَقَوْلِي: لَمْ يَكُنْ بَطْلًا
...	...
وَكَأَنَّ يَمْزِجُ أَطْوَارًا بِأَطْوَارِ	وَإِنْ مَضَيْتُ فَقَوْلِي: لَمْ يَكُنْ بَطْلًا
...	...
وَلَمْ أُدْنَسْ بِسُوقِ الزَّيْفِ أَفْكَارِي	إِنْ سَاءَ لَوْكَ فَقَوْلِي: لَمْ أَبْعَ قَلْمِي
وَكَأَنَّ طِيفَلِي وَمَحْبُوبِي وَقِيْثَارِي	وَإِنْ مَضَيْتُ فَقَوْلِي: لَمْ يَكُنْ بَطْلًا

وحول هذا: "أَبَانَ البلاغيون الفرق بين أداة الشرط (إِنْ) وأداة الشَّرْطِ (إِذَا) فأرأوا من تتبُّع النُّصُوصِ الرَّفِيعَةِ أَنَّ حَرْفَ الشَّرْطِ (إِنْ) يُسْتَعْمَلُ غَالِبًا فِيْمَا يَرَى الْمُتَكَلِّمُ أَنَّ مَا جُعِلَ شَرْطًا وَهُوَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ جُمْلَةُ الشَّرْطِ أَمْرٌ مُشْكُوكٌ فِي وَقُوعِهِ مُسْتَقْبَلًا، أَوْ هُوَ نَادِرُ الْوُقُوعِ. وَأَنَّ اسْمَ الشَّرْطِ (إِذَا) يُسْتَعْمَلُ غَالِبًا فِيْمَا يَرَى الْمُتَكَلِّمُ أَنَّ مَا جُعِلَ شَرْطًا وَهُوَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ جُمْلَةُ الشَّرْطِ أَمْرٌ مُتَحَقِّقُ الْوُقُوعِ، أَوْ هُوَ مَرْجُوءُ الْوُقُوعِ.

فالبليغ مطلوب منه، أن يستعمل كلاً من (إِنْ) و(إِذَا) فيما هو الغالب من استعماله، ليشير في كلامه بكلمة (إِنْ) الشرطيَّة إلى الشكِّ في وقوع الشرط أو ندرته، ويشير في كلامه بكلمة (إِذَا) إلى تحقُّق الشرط مستقبلاً، أو إلى رجاء تحقُّقه" (١).

(١) البلاغة العربية ١ / ٤٧٢

الفصل الرابع

الأفعال الكلامية

Speech acts

التداولية شديدة الصلة بأفعال الكلام فالتداولية " تكاد تستلهم وجودها من المنطق، إذ تُستنبط أساسا من فلسفة اللغة، ونظرية أفعال الكلام بوجه خاص" (١).

ذكر أوستين عددا من الأفعال الكلامية مراعيًا في ذلك قوة تلك الأفعال الإنجازية أو التحقيقية، مقسِّمًا إياها إلى هذه الأقسام (٢):

١- أفعال الأحكام ذات الصلة باتخاذ القرارات.

٢- الأفعال المعبرة عن النفوذ والهيمنة .

٣- أفعال التعهد .

٤- الأفعال السلوكية .

٥- الأفعال الإيضاحية.

ذلك أن " اللغة ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب؛ وإنما اللغة وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من مواقف كلية" (٣).

مما يطالعنا من أفعال الأحكام ذات الصلة باتخاذ القرارات في المدونة محل الدراسة الجزم من الشاعر أنه اكتفى في حياته الممتدة حتى إبداع هذا النص خمسا وستين سنة في كفاح

(١) النص والسياق: ٢٥٦

(٢) ينظر: اللسانيات الوظيفية : ١٩

(٣) نظرية أفعال الكلام العامة: ٧

وعمل، خائضاً معارك الأعداء، مع كثرة التنقلات، ومكابدة الأسفار، ولذلك يقرر بأفعال كلامية جازمة صريحة في هذا الشأن " اكتفيث وأضناني السرى! وشكا قلبي العناء"، إذا القرار صريحٌ لا رجعة فيه: إنه قرار الملل من هذه الأعباء، الملل الناجم عن السرى المضني، والقلب الشاكي!

ومن القرارات النابعة من الأفعال الكلامية في هذا النص ما لبس لبوس النهي المتبع بالأمر التعليلي: " لا تَتَّبِعِينِي! دَعِينِي! واقْرئي كُتُوبِي"، إنه النهي الصارم في ظاهر المبطن بالرحمة والشفقة على المنهَى، يا رفيقة دربي! قراري لكِ ألا تتحملي آلام اتباعي بعد رحيلي، فأنا أمرك بتركي، وأعطيك البديل الأنسب؛ ذلك هو صحبتي من خلال كُتُوبِي، واستمرار العيش معي من خلال حروفي " فبينَ أوراقها تلقاكِ أخباري!" وهنا يتحقق الكثير من مرادك، حيث أخبار من تودين وتخبين، أخبار من يعشقك العشق الخاص! أخبار من منحته " من كنوزِ الحُبِّ أنفَسها"، أخبار المحبِّ الذي كان "لولا نداكِ الجائعِ العاري!"

ويطالعنا في النص العديد من الأفعال المعبرة عن النفوذ والهيمنة لدى الشاعر، فهو المسؤول الحكومي في سنوات طويلة من عمره، وهو المفكر المستقل برأيه، الواثق بنفسه، لا غرو إذا أن يشحذ النص بمجموعة من الأفعال الكلامية فيما دللته قيادية نافذة، ومن ذلك ما خرج لنا في صيغة التمني للمستحيل، مع أن التعبير عنه جاء في صورة لطيفة لا تشي بالمستحيل، حيث حول التمني إلى الودِّ والرغبة الممكنة! " وددتُ البحرَ قافيتي، والغيمَ محبرتي والأفقَ أشعاري!" يا لها من هيمنة على وادي عبقر! يا لها من تملك للقوافي المعتادة، والأخبار المتاحة، والأشعار الممكنة، حتى تجاوزها الشاعر بهمته إلى تمني قوافي البحور الحقيقية لا بحور الخليل! وإلى استمطار الأخبار من الغيوم الأمطار! وإلى اتساع حدود شعره اتساع الأفق بلا تعكير قيود ولا تضيق حدود! هكذا أراد الشاعر لأشعاره في زوجته رفيقة دربه!

ومن الأفعال الكلامية في حقل أفعال التعهد ما وعد به القصبي نفسه، والمتلقي في هذا النص الأدبي الراقي، حيث وعد رفيقة دربه أن يفديه بعمره كله، ولو كان يملك مع عمره هذا أعماراً أخرى لكانت تلك الأعمار أيضاً فدى لعيني من سهرت معه عقوداً طويلة!

أيا رفيقة دربي! لو لديّ سوى عمري لقلتُ: فدى عينيكِ أعماري

ومن ذلك ما تعهد به الشاعر طوال حياته من خدمة بلاده، وسعيه في عزّها، حتى بذل في سبيل ذلك الأعز من الأعلى مما يملك، بذل العمر، وبذلك من العمر زهرته! وقد وثق المواطن الصالح بما نذر لبلاده!

ويا بلاداً تذرّثُ العُمَرَ زهرته لِعِزّها! دُمتِ! إيّ حانَ إبحاري

وتأتي الأفعال الكلامية في صورة الأفعال السلوكية المتنوعة بتنوع السلوك، المتعددة بتعدد المواقف، وتباين المحيطين بالشاعر، بالشاعر يحسُّ بالتحدي، وينقل للمتلقي ذلك الإحساس من خلال نظرة أعدائه له، وقلوبهم الحوار إلى حرب "بالكبريتِ والنّار"! ويُظهر لنا الشاعر أن هذه الحروب طالت معه، واستمرت، وتنوعت، بدلالة الفعل على الاستمرارية في كون "الأعداءِ ما بَرِحوا" في عداوتهم، وهذا الذي ولّد الإصرار والتحدي لدى الشاعر في حروبه تلك!

ومن الأفعال السلوكية ما بيديه القصبي متحسراً على ذهاب صحبه ورفاق عمره الواحد تلو الآخر! حتى لم يبقَ منهم إلا الذكريات، وما أجمل الذكريات! وما أشدّ آلامها!

والصحبُ؟ أين رفاقُ العُمَرِ؟ هل بقيتْ سوى ثُمالةِ أيامٍ وتذكّارٍ

فاللعل هنا دال من خلال سياقه على ألم الفراق، ومرارة البُعد، وتقلب الحال، وحلول البين محل الاجتماع! ويا له من تصوير باكٍ ألا يبقى ممن تحب وتودّ "سوى ثُمالةِ أيامٍ وتذكّارٍ"!

وفي دلالة بالغة الوفاء، صادقة الاعتراف بالجميل، الجميل الذي لقيه الشاعر ممن عاشت معه أكثر عمره، الأنثى التي لازمته زهرة حياته، وعنفوان شبابه، وأيام كهولته، وسنوات مرضه، يعترف لها الشاعر من خلال الفعل السلوكي الدال على الامتنان لها، أنه سيضيع ويجوع ويعرى لولا حضانها الدافئ ونداها الفياض! و "كنتُ لولا نذاك الجائع العاري"! وليس صدور هذا الشعور من الشاعر بمستغرب فهو معترف أن رفيقة دربه قد منحته "من كنوز الحب أنفُسها"؛ فهي مانحة، ومانحة لكنز، والكنز ثمين كنز الحب، والمنيحة كانت من الأنفس!

ومن الأفعال الإيضاحية المندرجة في الأفعال الكلامية ما جاءت ملائمة للسياق الواردة فيه من حيث الإقرار بالذنب، والاستعطاف لرحمة أرحم الراحمين، تلك الأبيات الخاتمة لهذا النص:

يا عالم الغيب! ذنبي أنت تعرفه
وأنت أدري بإيمانٍ مننت به
وأنت تعلمُ إعلاي وإسراري
عليّ ما خدشته كلُّ أوزاري
أحببتُ لقياكُ حسنُ الظنِّ يشفع لي
أيرتجى العفوُ إلا عند غفّارٍ؟

فالسباق استدعى ما يدل على وصف الرب بعالم الغيب، وبمعرفة تعالي ذنبن عبده، وعلمه بإعلان ذلك العبد وإسراره. وبدرايته سبحانه بالإيمان الذي منَّ به هو سبحانه! وأن تلك المنة الإيمانية لم تدينسها الذنوب البشرية مهما كثرت واجتمعت!

ليأتي السياق ملقيا بظلال الأجواء الروحانية على الألفاظ فتتجلى ألفاظ حسن الظن، والشفاعة، والرجاء، والعفو، وتوجه ذلك كله إلى الغفار، إلى كثير المغفرة، وعظيمها بدلالة صيغة المبالغة (فَعَال)! ل"أن هذا أكثر مُبالغة" (١)؛ بناء على سنن أهل اللسان العربي؛ لأنهم "إذا أرادوا الزيادة في المبالغة ضعّفوا العين" (٢). ومن الملاحظ في هذا السياق ما يتمتع به الشاعر

(١) المقتضب ٢/ ١١٣

(٢) المنصف ٢٤١

من الثراء اللغوي، ومن السعة المعجمية في مفرداته اللغوية، فقد نوع بين أفعال ثلاثة متقاربة في معانيها: "تَعْرِفُهُ، تَعْلَمُ، أَدْرَى" مع الدقة في الاختلاف في مقامات هذه الجذور اللغوية لمواد تلك الكلمات (١)، وهذا من قبيل التعبير عن الاعتذار مع إنجاز التفخيم، والإقرار بالمسؤولية في الخطأ (٢).

(١) ينظر للاستزادة: فعل وعمل في القرآن ومقاماتهما البلاغية

(٢) ينظر: تعليم التداولية وتعلمها حيث تلتقي اللغة والثقافة: ٨٤

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي يسر اكتمال العيش مع نصّ جميل للشاعر المبدع معالي د. غازي بن عبد الرحمن القصيبي، في نصّ مشرق من آخر إبداعاته في حياته المديدة، نصّ تجلّى فيه القصيبي في صفاء نفس، ونقاء روح، نصّ كان فيه القصيبي هو القصيبي!

والحمد لله أن يسر المقاربة التداولية لهذا النصّ، عاش البحث مع النصّ من خلال الإشارات، والافتراض السابق، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية.

وإني أخلص إلى أن القصيبي:

- ١- اشتمال النصّ على الإشارات بأنواعها الواردة في البحث، الإشارات الشخصية، و الإشارات الزمانية، والإشارات المكانية، والإشارات الاجتماعية وحسن توظيف الشاعر لها.
- ٢- الوقوف على العديد من الافتراضات السابقة التي أثار النصّ، مما جاء الحديث عنه مفصّلاً في موضعه من صفحات البحث.
- ٣- ظهور مبدأ التعاون بين الباحث والمستقبل في الاستلزام الحواري الظاهر في أبيات النصّ.
- ٤- حسن توظيف الشاعر الأفعال الكلامية من خلال توظيفه تلك الأفعال بأنواعه التداولية المشار إليها في البحث؛ من أفعال الأحكام ذات الصلة باتخاذ القرارات، والأفعال المعبرة عن النفوذ والهيمنة، أفعال التعهد، والأفعال السلوكية، الأفعال الإيضاحية.

وإني أوصي الباحثين والباحثات بالعناية بأشعار المبدع الراحل غازي القصيبي رحمه الله

ووالدينا والمسلمين، ودراستها واستجلاء جمالياتها.

كما أوصي بالعناية بالمقاربات التداولية في تناول النصوص الراقية شعرا ونثرا، قديمها وحديثها.

وأوصي بإعادة الثقة، وتعزيزها في التنظير والتطبيق لنقادنا العرب الأوائل، من خلال نشر ما دونوه، وإحياء ما سطره في مدوناتهم النقدية.

وأوصي بالعناية بالنظريات النقدية الحديثة، والإفادة منها في درسنا النقدي لمدوناتنا الأدبية الراقية المتنوعة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على خير الخلق محمد الذي تداول الناس ما أعلى الله من ذكره.

غرة ربيع الأول ١٤٤٠ هـ

التاسع من نوفمبر ٢٠١٨ م

المراجع

- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٢م
- أمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي، دراسة وتحقيق د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار - الأردن، دار الجيل - بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م
- التداولية ظلال المفهوم وآفاقه، إشراف وتحرير حسن خميس، مشاركة العديد من الباحثين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٥ م
- تعليم التداولية وتعلمها حيث تلتقي اللغة والثقافة، Andrew D. Cohek، Noriko Ishihara، ترجمة د. سعد بن محمد بن جديع القحطاني، دار جامعة الملك سعود للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م
- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣ هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق

- محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ
- حديقة الغروب، غازي بن عبد الرحمن القصيبي، شركة العبيكان للأبحاث والتطوير، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
- الحوار في شعر محمد حسن فقي دراسة تداولية، محمد بن عبد الله المشهوري، إدارة النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م
- الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهرير بالجاحظ، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصللي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصللي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة
- السيميائيات أو نظرية العلامات، جيرار دولو دال، ترجمة عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م
- سيميائية الخطاب الشعري، د. شادية شقروش، عالم الكتاب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م
- شعرية عنوان الساق على الساق فيما هو الفاريق، محمد الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٨، العدد الأول، ١٩٩٩ م
- عقود الجمان في علم المعاني والبيان، وهو نظم لكتاب تلخيص المفتاح للخطيب القزويني المتوفى ٧٣٩ هـ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق وضبط عبد الحميد ضحا، دار الإمام مسلم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان ديك، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م
- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ

- اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، ١٩٨٩م
- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلية، تحقيق فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- المعاني الثواني للفصل والوصل في القراءات القرآنية، أ. م. د. محمد إسماعيل المشهداني، جامعة الموصل، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠١٣م
- معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، تحقيق د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥
- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق د. علي بو ملح، مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣
- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينيكو، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، ١٩٨٦م
- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب. - بيروت
- المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلية، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى في ذي الحجة سنة ١٣٧٣هـ - أغسطس سنة ١٩٥٤م
- المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث
- نتائج الفكر في النحو للسُّهَيْلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩٢م

- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قيني، الدار البيضاء، بيروت، إفريقيا الشرق، ، ٢٠٠٠م
- نظرية أفعال الكلام العامة، جون لانكشو أوستين، ترجمة عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م
- النقد الأدبي الحديث قضايا واتجاهات، سامي شهاب أحمد، كلية التربية، جامعة كركوك، ٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ
- روابط الكترونية:
- https://twitter.com/AlgoSaibi_Ghazi/status/795744640188215296
- http://www.alukah.net/literature_language/0/45518/#ixzz5V6wABR00